المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما تهم مطالعتهُ من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة و يكون جامعًا لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

الاوقاف المصريَّة القديمة

ونقلها السلطة من يد الملك الى يد رئيس الكهنة

من مقالة لجناب المسيو ماسبرو مدير الآثار المصرية

للاضطراب الذي نشأ في فرنسا في هذا العام بشأن حرية التعليم وحلّ الرهبانيات الغير الماذونة اسباب عديدة اعظمها الخوف من تكاثر الاوقاف الاكليريكية واستغراقها كثيرًا من املاك الامة . ولذلك يقولون انه لولا خطبة المسيو والدك روسو في طولوز لما رضي بعض الجمهوريين المعتدلين بمجاراته في سن نظام الرهبانيات . فان المسيو والدك روسو صاح في خطابه هذا : ان املاك الرهبانيات واوقافها صارت تُقدر « بمليار » فرنك وهي في ازدياد مستمر فاذا لم تضعوا لذلك حدًا امتصَّت هذه الرهبانيات دماء الامة وصارت دولة في الدولة

فتناول يومئذ الاشتراكيون والغلاة كلمة « المليار » وصاروا يحاربون بها الرهبانيات . وهال بعضَ معتدلي الجمهوريين هذا الرقمُ وهذه الثروة فرأَوا من الواجب ان يضعوا حدًا لذلك . ومن هنا نشأ نظام الجمعيات الدينية

فانت ترى في ما تقدَّم ان اوروبا لا تنظر اليوم الى اوقافها بعين الرضى والطمأنينة خصوصًا في البلاد التي يكون رجال الدين فيها مقاومين للسلطة الحاكمة . ولكن الدول التي يكون فيها رجال الدين على وفاق مع السلطة الحاكمة كروسيا مثلاً يكون شأن اوقافها شأن الاوقاف في بلادنا الشرقية . وحكومتها تشجع الواقفين وتثني عليهم لانهم بمنحهم املاكهم للهيئة الدينية وقفًا على «الفقراء والمساكين» انما يمنحون الحكومة نفسها قوة جديدة طالما لا يكون فوق

يدها يد تراقب التصرف بهذا الوقف لانفاق دخله في افضل الوجوه التي تنفع الامة نفعاً حقيقياً

ويظهر ان خوف الحكومة الفرنسوية كان في محله . فقد عثرنا في هذا الشهر على مقالة لجناب المسيو ماسبرو مدير الآثار المصرية نشرها في احدى جرائد اوروبا وذكر فيها انتقال صولجان السلطة في مصر قديماً من ايدي الفراعنة الى ايدي الكهنة بسبب كثرة هذه الاوقاف واستغراقها قسماً عظيماً من البلاد والعباد . واليك خلاصة هذه المقالة المهمة . قال المسيو ماسبرو .

لما شاخ رعمسيس الثالث تنازل عن الملك لابنه رعمسيس الرابع واقام لذلك احتفالاً عظيماً في هيكل الاله عمون . ثم اخذ رعمسيس الثالث (الاب) يساعد ابنه بالنصح والارشاد و يشتغل بكتابة وصيته السياسية ليبلغ اخباره الى الاجيال التالية . ومن حسن الحظ ان احدى هذه الاوراق وقعت في يد رجل يُدعى المستر هرس وكان قنصلاً لانكلترا في الاسكندرية ثم ابتاعها منه متحف لندن بعد بقائها ٢٥ سنة معه . وهذه الورقة تنتهي بذكر فتوحات رعمسيس واعماله . وفيها ما عدا ذلك بيان الاملاك والهبات التي وهبها للآلهة المصرية . وقد جاء في الورقة ان رعمسيس هو الذي وهبها للآلهة ولكن الحقيقة ان تلك الاملاك كانت موهوبة لها من اسلافه من ملوك الاسرة الثامنة عشرة حتى التاسعة عشرة . فالاهمية في هذه الورقة في بيان املاك الآلهة واوقافها في زمن من اهمّ الازمنة . ولذلك كانت فريدة في بابها .

وقد ورد في هذه الورقة ذكر اوقاف الآلهة في ثيبة وعين شمس (هليوبوليس) ومنفيس وبعض المدن الصغرى . وفيها تفصيل كل صنف من الاملاك كالبساتين والعبيد والحقول والمواشي مما يضيق المقام عن ذكره . غير اننا نكتفي بذكر ما كان للاله عمون الذي هو اكبر الآلهة المصرية القديمة . فقد كان يملك ٨١٣٢٢ نفساً من العبيد والخدمة والخادمات و ٤٢١٣٦٢ رأساً من المواشي الكبرى والصغرى و ٤٣٣ بستاناً و ٢٣٩٣ كيلومتراً مربعاً من الاطيان كانت تُزرع حنطة و ٨٣ سفينة تمخر عباب النيل والبحر و ٤٦ معملاً للبناء و ٦٥ مدينة او قرية (منها سبع في آسيا) — وما عدا ذلك فقد اهداه الناس في اثناء المدة التي ملك فيها رعمسيس الثالث وهي ٣٢ سنة ٣١ كيلوغراماً من الذهب و ٨٣٣ غراماً — و ٩٩٧ كيلوغراماً من الفضة و ٨٠٥ غرامات — و ٢٣٩٥ كيلوغراماً من النحاس و ١٢٠ غراماً — و ٣٧٢٢ قطعة من النسيج و ٣٠٩٩٥٠ هيكتوليتراً من القمح و ٣٨٩٥٣٠ طائراً وكثيراً من الخيوط والكتان والزيت والخمر والبخور والبقول . وعلى ذلك فقد كانت

ثروة الاله عمون فوق كل ثروة دون ثروة فرعون . وكانت املاكه عبارة عن جزء من ثمانية اجزاء من بلاد مصر وكانت آخذة بالازدياد والاتساع

ومن اجل هذا استنتج متأخرو المؤرخين نتيجة نشير اليها . فانه من المعلوم انه بعد انقضاء مائة سنة او ١٢٠ على ملك رعمسيس الثالث قام كاهن عمون الذي كان الكاهن الاعظم في ثيبة ونادى بنفسه ملكاً جامعاً بذلك بين السلطتين المدنية والروحية . وبذلك سقطت سلطة « الرعامسة » . فالمؤرخون كانوا يعتقدون حتى اليوم ان السبب في حلول سلطة رئيس الكهنة محل سلطة الفراعنة منذ نحو ٣ آلاف سنة كون الاوقاف للكهنة والآلهة زادت زيادة كبرى عن املاك الملك فصار لهم القوة والسلطة دونه لرجحان ثروتهم على ثروته . ولكن المسيو ارمن الذي نشر منذ مدة كتاباً موضوعه البحث في « بابيروس هرس » وهي الورقة التي تقدم ذكرها يقول انه يجب ابطال هذا الرأي لان اوقاف الاله عمون لم تبلغ اكثر من عشر البلاد . والناس الذين كانوا تابعين لها لا يبلغون جزءاً من ١٠٠ جزء من سكان مصر . فكيف والحالة هذه يمكن ان تتغلب طبقة الكهنة على اسرة الملوك

الا ان المسيو ما سبرو صاحب المقالة يردُّ على المسيو ارمن . ورده في غاية السداد على ما يظهر فانه قال ان ورقة هرس نقلت الينا بيان ثروة الاله عمون في آخر حكم رعمسيس الثالث . وكانت خزانة رعمسيس يومئذ تطفح بالمال وارداً من سوريا . لكن في القرن الذي تلا ذلك الزمن اضطر الملوك الى ترك ولايات سوريا البعيدة فانقطع دخلها عن خزانتهم ولم يبق لهم غير دخل املاكهم في مصر . وبناءً على ذلك نقص دخل الملوك نقصاً عظيماً بينما دخل الكهنة بقي على حاله تقريباً لانه لم يخسر الا ايراد بعض المدن السورية التي تُركت وهي خسارة قليلة . واذا حسبت الهدايا التي كانت تُهدى اليه كما ارتقى ملك الى العرش وجدت ان ذلك يعادل خسارته المذكوره آنفاً . فرجحان ثروته على ثروة الملوك لم يكن من قبيل زيادتها بل من قبيل حفظه لدخله وتناقص دخل الملوك . ولما رأى رئيس الكهنة قوته ورجحان ثروته اغتنم هذه الفرصة وطلب جعل حق رئاسة الكهنة في اسرته فصار رئيس الكهنة لا يُختار الاَّ منها و بذلك اصبح هذا المنصب وراثياً من الاب للابن . ومنذ هذا الحين زادت سلطة الكهنة وصارت الاسرة الرئيسة تزوج ابناءها ببنات الاغنياء والعظماء زيادة لقوتها واعوانها . فلم يمض على ذلك قرن او قرن ونصف حتى صارت بلاد ثيبة وهي ثلث بلاد مصر تقريباً وقفاً للاله عمون وملكاً له ولكهانه . وكان رئيس الكهنة يحكم البلاد من اصوان الى اسيوط ويقود الجيش ويحكم بلاد الجنوب حتى الحبشة نفسها